مصر في عهدها الجديد

أخطاء الماضي

بقلم الآنسة الأديبة ابنة الشاطئ

تستقبل مصر في العهد الحاضر حياة جديدة ؛ وترقب غدها المرجو في كثير من الثقة والأمل والاطمئنان .

ومن حق حاضرنا أن نتعرف إلى ماضيه لنصحح أخطاءه ، لأن الإنسان لا يستطيع أن ينكر أمسه ويجحد ماضيه ، ولأن الشعوب لا تستطيع أن تقتطع حاضرها من قصة حياتها لتعيش له وحده ، وتبدأ به حياة جديدة لا تشوهها أخطاء الماضي .

وليت النسيان يفلح في محو هذه الأخطاء ، ليت تجاهلنا إياها يذهب بها ويمحو آثارها ، إذن لاستطعنا أن نبدأ اليوم حياتنا الجديدة وفي نفوسنا الثقة والأمل والإيمان ، لكنها أخطاء لا تمحى بالنسيان ، ويجب أن تصحح لنعفي العهد الجديد من تلك الوراثة المثقلة بالمتاعب والأخطاء .

لقد تجاهلناها نحن كما تجاهلها آباء وأجداد لنا من قبل ، فتثقلت . . . ثم ما زالت الأيام تزيد في ثقلها بما تضيف إليها من أخطاء جديدة ، حتى لنخشى اليوم أن ينوء الركب بما يحمل فيدركه الإعياء .

ولقد تحررت في عهدها الجديد من المحتل الأجنبي ؛ ولكنها لم تحرر بعد مما يثقلها من أخطاء العصور والأجيال .

مرت عليها آلاف السنين والأعوام ، عرفت فيها ألوانا من الكفاح ، وكان كفاحها يتميز بلون واحد هو الذود عن الطابع المصري ؛ والاحتفاظ بشخصيتها في المحن التي مرت بها . وفي هذا العهد الطويل ، اختلفت على مصر أشكال من الحكم ، أساغت قليلا منها وعافت الكثير ، وكانت هذه الخطوب والمحن كافية لأن تشغلها عن الالتفات إلى داخلها والاهتمام بأبنائها : كانت تنظر دائما إلى خارج الحدود نظرة الخائف المترقب ، وكانت هذه النظرة تتفاوت في البعد ، فهي تتجاوز الحدود الجغرافية للوادي حين يتم لها لون من ألوان الاستقلال أو ما يشبه الاستقلال ، تذود عنه الجياع الطامعين في الوادي الخصب العجيب

وتقصر نظرتها أحيانا حين يقتحم العدو أسوارها ويقم تحت سمائها ، فيعلق بصرها به أنى أقام ، تذوده عنها وتكافح فى وقاية بنيها مما ينفثه الاحتلال فيهم من ذلة وجمود .

وبين هذا وذاك ، شغلت مصر عما فى داخل حدودها ... شغلت عن بنيها فلم تلتفت إليهم وهم يمارسون حياة شقية مريضة ويحدرون إلى هاوية الذل والمرض والجهل والفقر.

شغلت مصر عن بنيها فلم تفكر فى الحياة الاجتماعية التى فرضت على الكثرة الغالبة من أبنائها والتى رسبت فيها الأخطاء والأكاذيب ، ومضت ترتجل الحياة وتصطنع بعض الأساليب للنهضة وتفكر تفكيرا مضطربا فى بعض اصطلاحات متناثرة متفرقة لا تعرف قاعدة ولا ينتظمها منهج واضح المعالم بين الحدود . . .

شغلت مصر عن شعبها ، ومضت السنون والأعوام ، ثم صحت بالأمس القريب تفتتح عهدها الجديد ، فإذا بقطع الظلام تتراكم فى أفقها وتحول بينها وبين النور الجديد .

هذه قافلتها قد همت بالسير إلى الغد الموعود ، وبين أفرادها ألوف من المتعطلين خرجوا من معامل التوظيف يصيحون فى طلب الوظيفة ثم يضجرهم الصياح فيتسكعون فى المقاهى والطرقات ، لأن مدارسنا لم تهيئهم للكفاح ، وإنما أعدتهم للوظائف .

وفيهم عشرات الألوف من الأطفال الشرد الضالين ، قد نبذهم المجتمع وتركتهم مصر هملا ، فاحتضنهم الظلام وآوتهم أوكار اللصوص ، ورحبت بهم مدارس الإجرام لتردهم إلى مصر فى الغد لصوصا مجرمين .

وفيهم مليون طفل من أبناء المدارس الأولية والإلزامية ، يساقون إلى المدارس ليكتبوا بأيديهم التحيلة الجائعة ، أعجب المذكرات عن قيصر والاسكندر وأوجه القمر ، ويتعلمون سبك المعادن وتوريق الجدران ، وأمعاؤهم تتلوى من ألم الجوع والحرمان .

وفيهم ثلاثة عشر مليونا من الأميين الجاهلين يخبطون فى ظلام جهلهم ، وتطمع مصر أن تنال بهم مكانا فى عصر العلم والنور .

وفيهم بعد ذلك ، بضعة ملايين من الفلاحين الأشقياء المجاهدين ، عملوا فى مزرعة الذهب منذ عهد لا يعرفه التاريخ ، ولم ينالوا أبسط حق من حقوق الانسان .

تسير مصر إلى غدها بهذه القافلة المتعبة المريضة وهى مع ذلك تطمح إلى مجد مرتقب ، وتتحدث عن النهضة والقوة والاستقلال ، فهل تذكر أن مثل هذا الحديث لا يجوز إلا لدول طهرت شعوبها من عناصر الضعف والمرض وأشاعت فيها معنى القوة والكرامة والحياة ؟

إن العبء ثقيل ، ولكن يجب أن نواجهه ، فهو قد ثقل لأن آباءنا تجاهلوه وانصرفوا عنه إلى الذود عن البلاد ، وما يجوز لنا أن نتجاهله فى حاضرنا ، هذا الحاضر الذى عهد إليه فى تسليم التاريخ المصرى إلى الاجيال المقبلة .

ابنة الشاطئ